

له العاملون بما يقطع دابره، وهو خطر الفتنة التي راح أبوسفیان يحضاً نارها بين على والعباس، وبين بنى هاشم وسائر بطون قريش، يعد قوماً بنصرة بنى أمية ونصرة قريش من ورائها، ويوسوس لقوم آخرين بمثل هذا الوعد أو بمثل هذا الوعيد، وما كان من همه أن ينصف بنى هاشم ولا أن يؤيد الانصار، وإنّما أراد الوقية التي يخذلهم بها جميعاً ويخرج منها بالسيادة الاولى التي كانت له على قريش فى الجاهلية.

وما من شك فى خطر هذه الفتنة من أبي سفيان ولا فى خطر تلك الفتنة من سقيفة بنى ساعدة، فأنحسنت الفتنة بانعقاد البيعة لأبي بكر، ولم يطلبها، بل كان مشغلا بدفن الرسول، ودعى إلى السقيفة مرتين وهو لا يعلم فيم يدعى ويعتذر باشتغاله ويغضب لدعوته، حتى هم عمر بمبايعة أبي عبيدة بن الجراح قبل أن ينشعب الجمع فى السقيفة بين الخزرج والايوس والانصار والمهاجرين، وقبل أن تنجح المسعاة من أبي سفيان فى خفائها، وقد كاد أن يعلها.

\* \* \*

وكان على فى تلك الساعة العصبية إلى جوار الجسمان الطاهر المسجى فى حجرته فدخل عليه أبوسفیان قائلاً: ((ياأبا الحسن! هذا محمد قد مضى إلى ربه، وهذا ترائه لم يخرج عنكم، فابسط يدك أبايعك!))

ويقول عمه العباس: ((يا بن أخى، هذا شيخ قريش قد أقبل، فامد يدك أبايعك ويبايعك معى، فإنّ ان بايعناك لم يختلف عليك أحد من بنى عبد مناف وإذا بايعك عبد مناف لم يختلف عليك قرشى، وإذا بايعتك قريش لم يختلف عليك بعدها أحد من العرب)).  
فيجيبه على: ((لا وإني لا أكره أن أبايع من وراء رتاج)).

ولقد كان أحكم فى جوابه هذا من شيخ الدهاة من بنى هاشم، وشيخ الدهاة من بنى أمية، فما للخلافة معدى عنه ان كانت ولاية عهد يعلمها جميع المسلمين، وما للبيعة هناك جدوى ان تمت وراء رتاج، وانشقت بعد ما عصا المبايعين والمعارضين.